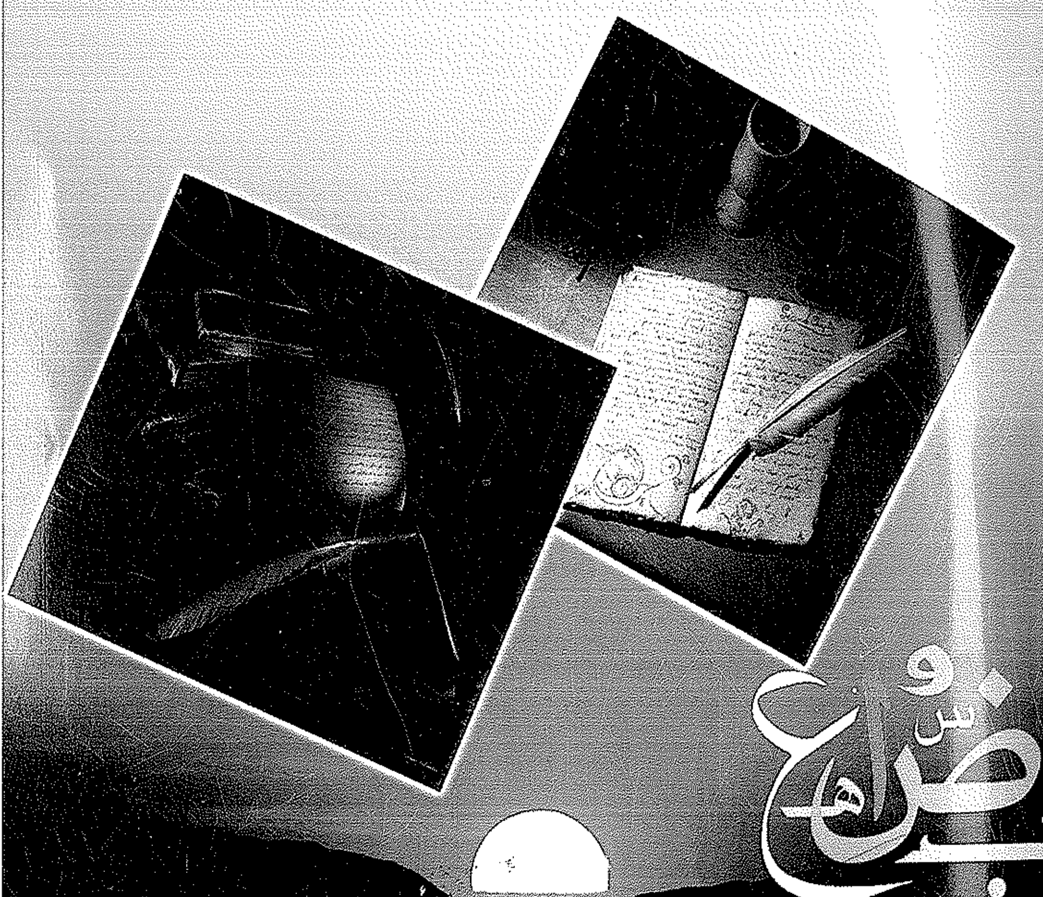
خلاصة فى علم الأصوات و التجويد

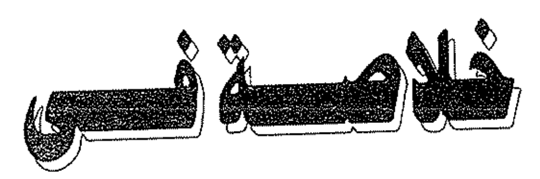


مكتبة التقوي الحديثة
٠١١٤٢٢٥٠٠٣٦

خلاصة فى علم الأصوات و التجويد



الأستاذ الدكتور
محمد حسن حسن جبل
أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر
العميد الأسبق لكلية اللغة العربية بالمنصورة
أستاذ متفرغ بكلية القرآن الكريم



خلاصة في علم الأصوات والتجويد

الأستاذ الدكتور

محمد حسن حسن جبل

أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر

العميد الأسبق لكلية اللغة العربية بالمنصورة

أستاذ متفرغ بكلية القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

الحمد لله رب العالمين، وصلاة الله وسلامه وتحياته ورحماته وبركاته على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

وبعد

فهذه ورقات فى علم الأصوات والتجويد دفعنى إلى كتابتها قصر الزمن المقرر لدراسة هذا العلم فى كلية القرآن الكريم. فهى فى مرحلة الإجازة العالية — نصف مادة فى فصل دراسى واحد للفرقة الأولى (ساعتان أسبوعياً لمدة اثنى عشر أسبوعًا وكثيرًا ما تنقص عن ذلك، ومثلها للفرقة الرابعة) وهذا الزمن يقلل كثيراً من فرصة استيعاب الطلاب لهذه المادة على الرغم من عظم خطرها (.قدرها) وبالغ حاجتهم إليها. وليس للمادة حظٌ فى الدراسات العليا. فجردت للطلاب أساسيات هذه المادة فى هذه الورقات.

أسأل الله أن يلقى عليها القبول الحسن، ويضاعف النفع بها بقدر سعة كرمه. اللهم آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه،

طنطا فى ١٦ من شوال سنة١٤٣٥هـ الفقير إلى الله تعالى

١٣ من أغسطس سنة٢٠١٤م **أ. د. محمد حسن حسن جبل**

بسم الله الرحمن الرحيم

١- (بيان صعوبة هذا العلم حتى لا يُسْتَخَفَّ به)

الإمام محمد بن أبي بكر المرعشى (مرعش مدينة فى تركيا على حدود سورية) (ت ١١٤٩هـ) له فى مجال الأصوات والتجويد هذا كتاب جهد المقل وحاشية عليه عنوانها: بيان جهد المقل.

قال فى مقدمة بيان جهد المقل: (وأوصيهم — يعنى الطلبة والدارسين والمؤلفين—:

١- "أن لا يعجلوا بتخطئتى بسبب مخالفة ما ذكرتُه فى الرسالة ظاهر ما يُفْهَم من كلمات المؤلفين فى هذا الفن".

٢- "فإن كلماتهم قَلّما خَلَت من المسامحات".

٣- "ولا يستبعدوا أن أعثر على الخطأ فى كلام بعضهم فأثبت المسألة فى هذه الرسالة على وجه الصواب"".

٤- ثم إنى وجدت هذا الفن من أصعب الفنون".

٥- ووجدت كثيراً من مسائله لم يُكْشَف عن وجوهها القناع"[١].

٦- "والحق أن (هذا الفن) صعب".

٧- "لأن أغلب مسائله وجدانى".

---

(١) ببيان جهد المقل(مع جهد المقل)ص٩.

٨- وجرت عادة المصنفين فى أغلب مباحثه بالمسامحة فى التعبير عن المقصود"[١].

٩- وقال تعليقاً على رأى للجعبرى فى الغنة "انظروا إلى كلام الجعبرى هنا كم فيه من أمور احتاجت إلى كشف، وهكذا أغلب مقالات أهل الفن فيها مسامحات بلا قرائن، وإطلاقات بدون تقييدات مع وجوب التقييد. فالمبتدئ كثيراً ما يتوهم التنافى بين كلماتهم، ولا تنافى عند كشف مرادهم إلا قليلاً"[٢].

* * *

وأستلفت نظر الدارس إلى ما فى كلام المرعشى- بعد كشف أغلفة الأدب التى غطى بها رأيه.

- كلامه فى رقم ١ عن تعجل الطلبة (وهذا يشمل المؤلفين) بتخطئة من يخالف كلام المتقدمين.
- قوله فى رقم ٢ "وإن كلماتهم قلما خلت من المسامحات" وهو يعنى بالمسامحة عدم الدقة أى الغلط وأن الخلوّ من الغلط قليل.
ولا يستبعد أن يقع فى كلام بعضهم أخطاء".
- ذِكْرُه أن هذا الفن "من أصعب الفنون" فهو من الأصعب لا من الصعبة فحسب.

---

(١) السابق ص١١.

(٢) بيان جهد المقل ١٠١.

- ذكره أن "كثيراً من مسائله (وفى رقم ٩: أغلب مباحثه): لم يكشف عن وجهه القناع" أى لم تُعْرَف حقيقته تمامًا. ولاحظ أنه توفى ١١٤٥هـ- فهو يقول هذا بعد الإمام الخليل المتوفى نحو ١٧٠هـ- بنحو ١١٠٠ سنة.
- وذكره أن هذا الفن صعب لأن أغلب مسائله وجدانى (رقم ٦،٧).
- قوله فى رقم (٨) إن تعبيرات المصنفين فى أغلب مباحثه (لا فى بعضها) فيها تسامحٌ أى عدمُ دقة، أى غلط. وقد كرر هذه الكلمة ثلاث مرات، وذَكَر كلمة أخطاء.

* * *

وقد حرصت أنا مؤلف هذه الخلاصة على إبراز كلمات المرعشى هذا وبعبارته توطئة لما قد يكون فى ما أقرره فى هذه الخلاصة من مخالفة لمقررات بعض القدماء، ولئلا يُظَنَّ أننى أخطئهم بغير حق، أو أننى أتطاول عليهم. وإنما المسألة أن العلم حق الله وحق العلم وحق الأمة وحق المتعلمين أى طلاب العلم. ولا يجوز حجْب الصواب رعاية للعلماء المتقدمين. بل إنهم لو سُئِلو لشكروا مَنْ يُبَيِّن الغَلَط فى كلامهم.

٢- سر الصعوبة

لقد ذكر المرعشى أن سر صعوبة هذا العلم "أن أغلب مسائله وجدانى".

ونفسر نحن الوجدانية فنقول: إن الأمور الوجدانية هى التى يجدُها الشخص أن يُحس بها فى باطنه، دون أن يراها غيره، كالجوع والعطش

والحب والبغض إلخ. ونرجح نحن أن المرعشى يقصد أن المقررات بشأن الأمور الصوتية تستند إلى ذوق الشخص الذى يذوق الصوت أى يُجَرِّب نطقَه عند الدراسة ليعرف مخرجه وصفاته.

ونضيف نحن أن من أسباب تلك الصعوبة أمرين مهمين أولهما: دقة كثير من المقررات الصوتية بحيث يخفَى تحديدُ بعض المخارج ومعنى بعض الصفات والأحكام على كثيرين إلى الآن (بعد ألف ومئتى عام) والثانى تركُ منهج الذوق والتجربة والبحث العلمى والتدقيق واللجوءُ إلى كلام المتقدمين والأخذ به على أنه مسلمات كالقرآن الكريم والحديث الصحيح. وهذا خطأ، لأن علم الأصوات علمٌ يُوَصَّل إلى الأحكام فيه بالبحث والتمحيص والتجريب لا بالرواية والتلقين.

٣- وهذا النوع من الدراسة المتعمقة هو الذى يسمى الدراية. فدراسة الأصوات والتجويد دراسة دراية لا رواية. وهذا ما قرره الأئمة. وستأتى نصوص كلامهم.

ومعنى أن دراسة الأصوات هى من مجال الدراية لا الرواية: أن حقائق الأصوات ومقرراتها تؤخذ من الدراسة لا من "قال فلان". وأقوال الأئمة المتقدمين نذكرها لنعرف ما قالوا ونفحصه لنتبين ما هو صواب منها وما هو خطأ. وهى لا تكون حجة إلا بعد أن نفحصها ويثبت لنا أنها صواب.

وفى مثل سريع يوضح بعض المراد: جاء فى الحديث الصحيح "بُنِى الإسلام على خمس" على الباحث أن يبحث عن هذه الخمس، وليس من حقه أن يقول الحقيقة أن الإسلام بنى على ثلاث أو أربع أو ست، لأن الحديث كلام الرسول المبلّغ عن الله عزّ وجل، فكلامه -ﷺ- إذا قُطِعَ بثبوته- لا يناقشُ نَصّه أبدًا. وهذا مستوى الرواية. لأن الحديث لكن فى النصوص اللغوية ونحوها إذا قال أحد اللغويون إن الجهر معناه منعُ النَفَس. يأتى صاحب الدراية فيقول إن منع النفس لا ينشأ عنه أىُّ صوت، لا جهرٌ ولا غيرُ جهر. بل إن الجهر لا يوجد إلا بمرور نفَس بين الغشاءين الصوتيين اللذين فى الحنجرة. فمنع النفس يمنع الجهر قَطْعاً. فالقول بأن الجهر هو منع النَفَس خطأ تمامًا. وهذا مستوى الدراية، ولا يُقْصَد أن الدراية لابد أن تُخَطّئ، وإنما المقصود أنها تفحص وتمحّ وتناقش وتثبت، فإذا تبين الحق فإنها تدعمه، وإذا تبين الباطل فإنها تدمعه وتفنّده.

مثال للتفريق بين الرواية والدراية:

إننا نتلقى البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) بأن نسمعها ونُقَلّد نطقها أى نحاكيه، وإلى هنا ينتهى دور التلقى والرواية. ويبدأ دور الدراية عندما نسأل أنفسنا أو يسألنا غيرنا عن أمور تتعلق بنطق البسملة.

١- أين نطق الألف الأولى فى لفظ الجلالة.

٢- ولماذا ننطق ألفاً بعد اللامين فى لفظ الجلالة؟ ولماذ لم تكتب؟

٣- لماذا ننطق لفظ الجلالة مرققاً هنا؟

٤- لماذا ننطق راء كلمة الرحمن مشددة بعد هاء لفظ الجلالة مباشرة؟ ولماذا ننطق الراء مفخمة أيضًا؟

٥- ما مقدار مدّ كلمة الرحمن هنا؟

٦- ولماذا ننطق راء كلمة (الرحيم) مشددة بعد نون كلمة (الرحمن) مباشرة؟ أين نطق الألف واللام التى فى أول كلمة الرحيم؟

٧- ما مقدار مدّ كلمة (الرحيم) عندما نقف عليها وعندما لا نقف؟

٨- لماذا نحكم على قراءة بعض الأطفال كلمة (بسم) (بزم) بأنها خطأ؟

٩- لماذا نُخطّئ نطقَ الطفل (ايّحمان) أو (اللّحمان) أو (اليّحيم) أو (اللّحيم).

١٠- ولماذا نُخطّئ نطق الأوربى (الرهمان) (الرهيم)؟

١١- لماذا ننطق الراء مفخمة (الرحمن)، و(الرحيم)؟

هذه الأسئلة وأمثالها لا تجيبنا عنه الرواية، وإنما تجيبنا عنها الدراية وهى هنا علم الأصوات.

جـ١ فالألف الأولى من لفظ الجلالة حذفت من النطق لأنها ألف وَصْل جئ بها لتُحَرّكَ، لام (الإلاه) (الْ٥فِعَال) فيمكن النطق باللام الساكنة بعدها. فلما وقعت ميم كلمة (بسم) متحركة قبل الألف أغنت عنها فحذفت من النطق.

جـ٢ ونطق الألف بعد اللامين لأن لفظ الجلالة أصله (ال إلاه) على وزن ال فِعال فألفها هى ألف صيغة فِعال ودخلت عليه (ال) فصار الإلاه. ثم حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال، (كما حذفت من كلمة الناس وأصلها الأُناس)، ثم أدغمت اللام فى اللام، وحذفت الألف المسئول عنها حتى لا يشتبه لفظ الجلالة بلفظ (اللاهى) في الكتابة.

جـ٣ ننطق لفظ الجلالة هنا مرققاً لأن قبله كسرة.

جـ٤ ننطق الراء مشددة لأن اللام التى قبلها أدغمت فى الراء فشددت الراء. لأن الأصل (الْ رحمان)، وحذفت الألف هنا كما حذفت من لفظ الجلالة فى السؤال السابق، ولام (الْ) أدغمت فى الراء فنطقت الراء مشددة، ونطقت الراء مفخمة لأنها مفتوحة. والألف التى تنطق بعد ميم الرحمن حُذفت من الرسم لكثرة الاستعمال، ولذا فإنها ترسم فى غير البسملة لقلة الاستعمال.

جـ٥ مقدار مدّ كلمة (الرحمن) هنا حركتان.

جـ٦ وجواب س٦ يفهم من جواب س٤.

جـ٧ مقدار مد كلمة الرحيم عندما نقف عليها هو حركتان أو أربع أو ست جوازًا.

جـ٨ نطق كلمة بسم- (بزم) لأن هذا النطق يحدث بسبب جهر السين، والسين مهموسة وجهرها خطأ.

جـ٩ نطق (الرحمن) ايحمان أو اللحمان خطأ، لأن فى الأول نطقت الراء ياء وفى الثانى نطقت الراء لاماً. وكلاهما نُطِق من غير مخرج الراء وبغير كيفية نطقها فهو نطق خطأ.

جـ١٠ الأوربى ينطق الرهمان الرهيم لأنه ليس فى لغته حاء، فهو لم يتعود نطق الحاء فهو ينطقها من مخرج قريب من مخرجها فتكون خطأ.

جـ١١ تنطق الراء مفخمة لأنها مفتوحة.

هذه الأسئلة وإجاباتها تمثل معنى (الدراية) وضرورة تحققها لدارس التجويد (ولكل العلوم حقيقة ولكننا هنا نتكلم عن علم التجويد).

فالتجويد معناه الحقيقى هنا هو القراءة الجيّدة أو المجَوّدة. لكن الوصول إلى هذه القراءة الجيدة أو المجَوّدة يتطلب معرفة أصول التجويد وقواعده معرفة تامة متمكّنة، ليمكن أن نعرف أسباب ما نأخذ به فى هذه القراءة ونجيب عن كل ما يتعلق بها- كما وضح فى المثال الذى قدمناه وهو قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم).

إن معرفة الأصول والقواعد لكيفية القراءة هى الدراية.

فعلم التجويد أصوله هى الدراية أى هو علم دراية لا علم رواية، وقد قال ذلك الأئمة المتقدمون صراحة.

٤- الأئمة يقررون أن دراسة الأصوات هى من مجال الدراية

(شهادات الأئمة بأن علم الأصوات (أصول التجويد) علم دراية الحجة فيه الدراسة، وليس علم رواية حجته النقل).

١- قال الإمام أبو محمد الحسن بن على بن سعيد المقرئ العُمانى فى كتابه (الأوسط فى القراءات) كتبه سنة ٤١٣هـ: "الناس متفاضلون فى العلم بالتجويد، فمنهم من يعرفه قياسًا وتمييزًا، فذلك الحاذق الفطن. ومنهم من يعرفه سماعًا وتقليدًا. والعلم فطنةً ودرايةً آكدُ منه سماعًا ورواية" (كتاب الأوسط فى القراءات ص٧٥) .

* * *

٢- وقال الإمام مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧هـ):

أ- "نَقْلُ القرآن فطنةً ودراية أحسنُ منه سماعًا ورواية. فالرواية لها نقلها، والدراية لها ضبطُها وعلمُها. فإذا اجتمع للمقرئ النقل والفطنة والدراية وجبت له الإمامةُ" (الرعاية تح د/ أحمد حسن فرحا ٨٩- ٩٠).

ب- "فتلك الكتب (يعنى كتب القراءات) كتبٌ تُحفظ منها الرواياتُ المختلَفُ فيها. وهذا الكتاب (يعنى كتاب الرعاية) يُحْكَم فيه لَفْظ التلاوة التى لا خلاف فيها (كلمة لفظ هنا معناها التلفظ أى النطق).

فتلك (أى كتب القراءات) كتب رواية، وهذا كتاب دراية. فافهم هذا". (الرعاية ص٢٢٦).

* * *

٣- وقال الإمام أبو عمرو الدانى (ت٤٤٤هـ):

"والعلم فطنةً ودرايةً آكدُ منه سماعًا وروايةً. فللدراية ضبطُها ونظمُها، وللرواية نقلها وتعلمها. والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم".

خطة الكتاب

وسنتناول الكلام في هذا العلم على الترتيب التالى:

جهاز الصوت الإنسانى.

المخارج.

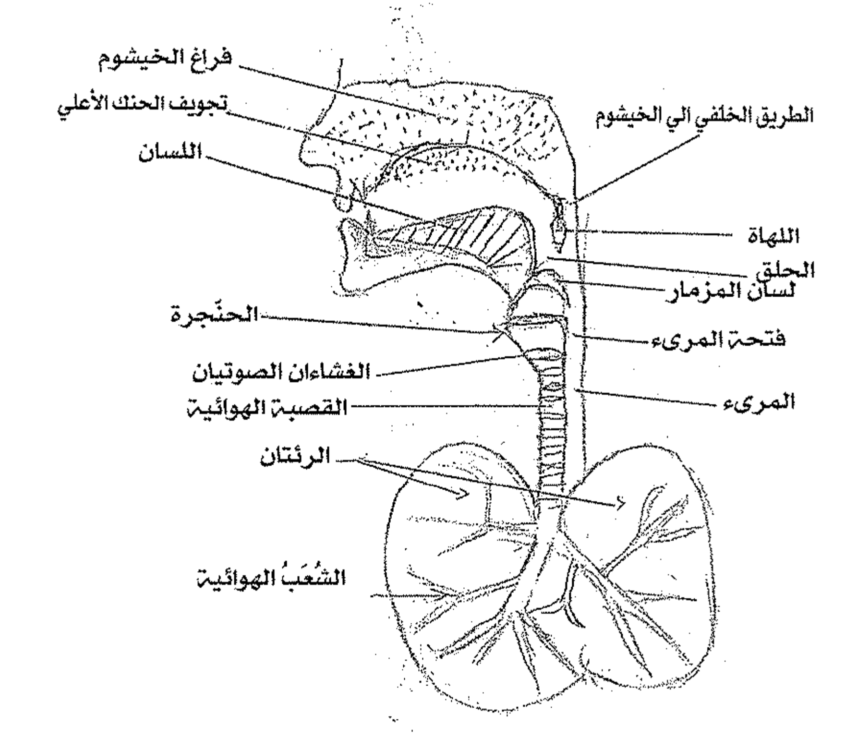
الصفات.

الدراسة الإفرادية.

المشكلات.

الدراسة التركيبية.

جهاز النطق الإنساني.



الدراسات الإفرادية Phonetics للحروف العربية

معنى الصوت

الصوت هو ذلك الذى تسمعه عندما يناديك أحد فيقول: يا فلان أو عندما يضْنِج البائع منادياً على سِلعة، أو عندما تطلق السيارة نفيرها.

الصوت هو الذى تسمعه عندما تقول آآآ أووو. أو إى ى ى إلخ.

ضد الصوت فى التعامل بيننا هو النفس فأنت عندما يوسوس لك شخص (يوشوشك) أنت لا تسمع صوتاً وإنما تسمع نَفَسًا تَشَكَّلَ كلامًا.

فهناك فرق بين الصوت والنفَس. وعندما أردت أنا أن أعرف الصوت قلت هو الزمير الذى تسمعه عندما يتكلم معك شخص ما. الصوت هو الكلام العَلَنى الذى لا يَخْفى فإن الذى يَخْفَى هو الوسوسة أو هو الهمس.

والصوت الإنسانى الذى نتحدث عنه مرتبط تمام الارتباط بالنفَس. جهاز التنفس عندنا قاعدته الرئتان اللتان فى الصدر. وتخرج من الرئتين أنبوبة تسمى القصبة الهوائية. هذه القصبة الهوائية توصل الهواء إلى الفم والأنف. وفى أعلى القصبة الهوائية جزء منها تحت الذقن يسمى الحنجرة وظيفته الأساسية إصدار الصوت. هذه الحنجرة جدارها الأمامى مثلث الشكل والزاوية العليا منه ناتئة للأمام ويسميها الناس تفاحة آدم. هذه الحنجرة يوجد فى داخلها غشاءان أفقيان لاصقان بجوانب الحنجرة من

الداخل بحيث يكونان متقابلين. وهما يتحركان تَقَدُّمًا وتأخُّرًا فى تجويف الحنجرة فيتقابلان ويتقاربان ويتباعدان. فإذا تقابلا سدّا طريق النَفَس تمامًا، وإذا تباعدا انفتح تمامًا. وإذا تقاربا جدًّ- دون إغلق-ا فإن النفس الصادر من الرئة بقوة يُرْعِدُهما بقوة فيَصدر عنهما (زنّ) هو الصوت يعلو وينخفض تبعًا للقوة التى ندفع بها النَفَس من الرئة. وفى حالة الوشوشة تكون الفتحة بين الغشاءين متسعة فيمر الهواء بسهولة دون إرعاد الغشاءين فلا يكون هناك صوت، وإنما يكون نفس نشكله كلامًا هو الوشوشة.

مخارج الحروف- حسب ما استقرت عليه الدراية

١- الحنجرة (والمقصود هو الوتران الصوتيان اللذان بداخلها). وهى للهمزة والهاء، وجسم أحرف المد والحركات.

٢- الحلق (والمقصود وسطُه) وهو للعيَن والحاء.

٣- أقصى اللسان وما فوقه من أقصى الحنك. وهو للغين والخاء والقاف.

٤- وسط مقدم اللسان — مع ما فوقه من الحنك وهو للجيم بالتقائهما، ولللياء بارتفاع مقدم اللسان دون التقاء. وللشين باستعراض اللسان وارتفاعه قليلاً.

٥- جانبا اللسان وطرفه- مع مرور الهواء بأكثر حافَة اللسان للضاد، وبمقدم الحافَة فقط للام.

٦- طرف اللسان مع الصفحة الداخلية لمقدم الحنك وهو للراء بارتعاد طرفه لامسًا مقدم الحنك عدة لمسات، مع خروج هوائها من الفم، وللنون بخروج هوائها من الأنف مع استقرار طرف اللسان على مقدم سقف الحنك.

٧- طرف اللسان مع الصفحة الداخلية لمقدم الحنك والأسنان العليا. باقترانه فيها مع مرور النَفَس من المضيق بينهما وهو للسين والزاى والصاد.

٨- طرف اللسان مع مقدَّمه بالاستقرار على الصفحة الداخلية للثنايا العليا وأصولها للتاء والدال والطاء.

٩- طرف اللسان والثنايا العليا والسفلى بامتداده بينهما وهو للثاء والذال والظاء.

١٠- الشفتان- باستدارتهما للواو، وبانطباق الأسنان العليا على الشفة السفلى للفاء، وبانطباق الشفتين مع حبس النفس للباء، وبانطباقهما مع خروج النفَس من الأنف للميم.

صفات الحروف

١- الجهر والهمس:

الجهر زمير يصحب الحرف عند نطقه. وهذا الزمير هو الصوت المسموع وضده النَفَس بلا صوت كما ذكرنا من قبل.

وزمير الجهر ينشأ بسبب اهتزاز الأوتار الصوتية التى فى الحنجرة عندما ترتعد الأوتار ارتعادًا شديدًا بسبب مرور هواء النَفَس المندفع من

الرئتين بين الوترين الصوتيين حالة كونهما متقاربين جدًّا يكادان يَسُدّان المنفذ بنيهما. وبارتعادهما يتولد الزمير. فإذا صحب ذلك الزمير نطقَ الحرف فالحرف مجهور وإذا لم يكن هناك زمير مع نطق الحرف فالحرف مهموس فالهمس معناه عدم الزمير مع الحرف سواء أكان مع ذلك الحرف نفَس أو لم يكن.

ولتجربة وجود زمير أى جهر مع الحرف فإننا نأتى أولاً بزمير ممتدّ فنقول (آاا)، ثم ننطق الحرف المراد تجربته، فإذا استمر الزمير معه فالحرف مجهور مثل: آذذذ، آ ررر، آ ظ ظ، آ ع ع، آ غ غ ، أل ل ، آ ن ن. وإذا انقطع الزمير عند نطق الحرف المراد تجربته فالحرف مهموس آ ث ث، آ ح ح، آ خ خ، آ س س، آ ش ش، آ ف ف ف..

- والحروف المهموسة هى المجموعة فى عبارة (سكت فحثه شخص) وما عداها مجهور.
- وطريقة تجريب الجهر والهمس التى ذكرناها صالحة لكل الحروف ما عدا الحروف الشديدة التى سنعرفها، فتجريب جهر الحروف الشديدة المذكورة يكون بوضع اليد على الحنجرة فإذا أحسست بأزيز الزمير فالحرف مجهور، وإذا لم تحس بأزيز فالحرف مهموس.
- وقد تبين بما ذكرنا أن الجهر لا يحدث إلا بمرور النفس من بين الأوتار الصوتية.

صوت من الحنجرة دون نَفَس: مستحيل

نَفَس بلا صوت = ممكن كما فى حالة التنفس وبعض الأصوات المهموسة. ويتبين من ذلك أن تعريف الجهر بأنه منع النفس هو تعريف خاطئ تماماً. وكذلك تعريف الهمس بأنه جريان النفس خطأ أيضاً.

٢- الشدة والرخاوة:

الشدة: حبس النفَس فى مخرج الحرف آن نطقه. والرخاوة: جَرَيان النفَس من مخرج الحرف آن نطقه.

- ولتجربة شدة الحرف أو رخاوته فإننا ننطقه ساكنًا بعد همزة. فنقول أب. أت فنجد النَفَس ينحبس خلف الشفتين عند نطق الباء، وينحبس بطرف اللسان عند نطق التاء. فهما شديدتان والحروف الشديدة مجموعة فى عبارة (أجدك قطبت).
- وإذا عدنا للتجريب فجربنا نطق الثاء (أثْ) فإننا نلاحظ أن النفس يجرى من مخرج الثاء عند نطقها وكذلك عند نطق الحاء والخاء إلخ. فهن رِخْوات. والحروف الرخوة هى كل ما عدا الشديدة.
- وقد حكم القدماء أن الحروف المجموعة فى عبارة (لن عمر) متوسطة بين الشدة والرخاوة، على أساس أن هذه الحروف يوجد فيها بعض الشدة وهو اعتراض عن طريق النَفَس وبعض الرخاوة وهو مرور النفس على الرغم من ذلك الاعتراض، فتكون متوسطة بين الشدة والرخاوة.

ولكننا نقول إنه ما دامت الرخاوة هى مرور النفس من مخرج الحرف آن نطقه، وما دام النفس يمر من مخرج هذه الحروف عند نطقها، فإنها يجب أن توصف بأنها رخوة.

العلاقة بين المجموعتين: الجهر والهمس والشدة والرخاوة: لا تضاد بين المجموعتين فقد يكون الحرف مجهورًا وهو مع ذلك شديد مثل الباء والجيم وغيرهما أو رخواً كالذال والزاى وغيرهما. وقد يكون مهموسًا وهو مع ذلك شديد كالتاء والكاف أو رخو كالسين والفاء وغيرهما فلا تضاد.

٣- الاستعلاء والاستفال:

الاستعلاء معناه ارتفاع أقصى اللسان عند نطق الحروف وحروفه مجموعة في عبارة (خص ضغط قظ). والاستفال معناه عدم ارتفاع أقصى اللسان عند نطق الحرف. وحروفه هيَ ما عدا حروف الاستعلاء.

تنبيه: الاستعلاء يلزمه تفخيم الحرف، لأن استعلاء أقصى اللسان يَحْدُث بانسحاب جسم اللسان إلى جهة أقصاه فتتكون فى وسط تجويف الفم منطقة خالية كبيرة يتردد صدى صوت الحرف فيها.

٤- الإطباق والانفتاح:

الإطباق معناه تقعر وسط اللسان تقعرًا كبيرًا بحيث يرتفع أقصاه ومقدمه ارتفاعًا كبيرًا ويكون سقف الحنك كالغطاء المجوف فوقه. وغطاء الوعاء يسمى فى اللغة العربية الطبق. ويلحظ أن سقف الحنك حينئذ يكوّن

مع اللسان تجويفًا مستديرًا. فلابد فى الإطباق من اجتماع الارتفاعين ارتفاع أقصى اللسان وارتفاع مقدم اللسان.

والانفتاح معناه عدم تمام الإطباق إما بسبب عدم ارتفاع أقصى اللسان- كما فى الحروف المستفلة، وإما بسبب عدم ارتفاع مقدَّمِه- كما فى الحروف المستعلية غير المطبقة.

تنبيه: التفخيم فى الحروف المطبقة لازم وأساسى وأقوى من تفخيم الحروف المستعلية، لأن تجويف الفم يكون فى الإطباق أتم. وهذا واضح.

العلاقة بين المجموعتين: كل مُطْبَقٍ مُسْتَعْلٍ (ص ض ط ظ) وليس كل مستعل مطبقاً فإن (ق غ خ) مستعلية وليست مطبقة.

٥- الذلاقة والإصمات:

الذلاقة معناها الخفة. والحروف المذلقة مجموعة فى عبارة (مر بنفل). والحرف الذَلقي على الحقيقة هو (اللام) لمرور نفَسها من ذلق اللسان قرب طرفه. وضُمَّت إليها الراء والنون لاشتراك طرف اللسان فى إخراجهما، وضمت إلى الثلاث الميم والباء والفاء لخفتهن مثل الثلاث الأولى فصرن ستًّا.

- والإصمات حقيقة ضدّ الذلاقة ومعناه الثقل. وحروفه هى ما عدا حروف الذلاقة المذكورة، وهناك تعليل آخر وهو أنه صُمِت أى مُنِعَ أن تنفرد الحروف المصمتة ببناء كلمة رباعية فما فوق، بل يلزم أن يشترك في بناء الرباعية فما فوق حرف من حروف الذلاقة.....

وهذه الصفات الخمس صفات عامة بمعنى أن كل حرف من حروف العربية لابد أن يتصف بصفة من كل مجموعة فيكون إما مجهورًا أو مهموسًا، ويكون أيضًا إما شديدًا وإما رخوًا وهكذا.

- **وهناك صفات خاصة.**

الصفير: وهو نفخ حادّ يشبه الصفير من أثر طريقة إخراج هذه الأحرف (س ص ز).

الانحراف: ومعناه عدول نفَس الحرف عن وسط اللسان إلى جانبه ولذا يعبر الأوربيون عن هذه الصفة بالجانبية. وذلك يكون فى اللام والضاد فقط.ولا انحراف فى الراء. وإن كان أكثر القدماء أخذوا من كتاب سيبويه أن الراء منحرفة.

التكرير: وهو صفة خاصة بالراء معناها فيه ارتعادُ طرَف اللسان في نطقها حتى يلمس مقدَّمَ الحنك عدة لمسات. ومنع وقوع التكرير فى الراء خطأ لأنه صفة أساسية فيه، بدونه لا تكون. وقول بعض المتأخرين إن تكرير الراء صفة تُذْكر لتُجْتَنَب خِلاَبةٌ وباطل يحطّ من الخُلُق العلميّ لقائل هذا.

التفشى: وهو صفة خاصة بالشين. ومعناه انتشار النفَس فى خروجه من الفم عند نطق الشين.

الاستطالة: ومعناها الامتداد، والمقصود امتداد مرور النفَس بحافة اللسان من أول وسط الحافة إلى قرب طرف اللسان. ويؤخذ من كلام سيبويه تفسيرٌ للاستطالة آخرُ وهو امتدادُ مخرجها إلى مخرج اللام. فهذه استطالة.

الخفاء: ومعناه الاستتار، والمقصود استتار صوت الحرف وضعفه وعدم وضوحه. وحرفاهُ الهاءُ، ثم الحاءُ.

- وقد وصف القدماء حروف المد بالخفاء لاتساع مخارجهن اتساعًا أثر فى أصواتهن من حيث عدم الغمز المميز للحرف فيهن، فإن أصواتهن مجرد امتداد زمير. ونظرًا لخلوّ الألف تمامًا من تلك الغمزات المميزة فإنها عُدَّت أخفاهن.
- أما الواو والياء فإنهما يتميزان ببعض الغمز: الواو باستعلاء أقصى اللسان واستدارة الشفتين، والياء بارتفاع مقدم اللسان وانفراج الشفتين إلى الجانبين، ولذا عُدّتا أقلّ خفاء. وهذا التفسير للخفاء مسئوليتى.

الحروف العربية وما يتعلق بها واحداً واحداً

الهمزة:

أ- تخرج من الوترين الصوتيين: إن كانت متحركة ففى اللحظة البادئة لانفتاحها بعد أن كانا مغلقين مثل أخذ، وآمن. أى إننا نغلق الوترين ثم نفتحهما، وهى تتكون فى اللحظة البادئة لانفتاحهما. وإن كانت ساكنة فإنها تخرج فى اللحظة المؤدية لإغلاقهما بعد انفتاح. مثل السماءْ. د ف ء. وتأكلون.

ب- الهمزة مجهورة بل هى قطعة جهر قصيرة جدًّا. وقول أتباع الأوربيين إنها مهموسة أو لا مهموسة ولا مجهورة هو غلط مئة بالمئة.

ج- الهمزة المحققة شديدة وتحدث شدتها بإغلاق الوترين قبل لحظة نطقها مباشرة فى الهمزة المتحركة أو بعدها مباشرة فى الهمزة الساكنة. لكنها يستحيل أن تنطق محققة إلا بهذا الإغلاق قُبيلها أو بُعيْدها، وما لا يتم الأمر إلا به فهو منه.

د- الهمزة المسهلة رخوة لا تُغْلق معها الأوتار في مثل (أَؤُلْقِيَ عليه الذكر) (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا).

حروف المدّ: جسمهن زمير يصدر عن ارتعاد الأوتار الصوتية ويمتد، وفى الألف يستمر امتداده بلا تدخل فى الفم أو غيره، ولذلك ذكرها سيبويه مع الهمزة والهاء أى هى عنده من مخرجهما وقد عرفنا أنه الحنجرة.

أما الواو والياء فيتلوّن زميرهما فى الفم: الواو بارتفاع أقصى اللسان واستدارة الشفتين، والياء بارتفاع مقدم اللسان وانفراج الشفتين إلى الجانبين. ومن أجل هذا التلوّن الذى ذكرناه جُعِلتا من حروف الفم. لكن علينا أن لا ننسى أن جسمهما زمير ممتد مثل جسم الألف.

الهمزة وحروف المد معًا: علينا أن نستحضر دائمًا أن جسم الأربعة واحد وهو الزمير. لكن الهمزة زمرة قصيرة جدًا وحروف المد زمرات طوال. ومن هنا ساغ أن تقلب الهمزة إلى الألف أو الواو أو الياء، وأن تقلب كل من الثلاث إلى همزة. فأساس القلب هو أن جسم الأربع واحد فليس قلبًا اعتباطيًا كما قال بعض المحدثين.

العين والحاء: تخرجان من وسط الحلق والعين مجهورة والحاء مهموسة. وهما رخوتان.

الغين والخاء والقاف: تخرجن من أقصى اللسان وما فوقه من سقف الحنك والغين مجهورة والخاء مهموسة وهم رخوتان. والثلاث مستعليات.

- والقاف شديدة ولكن السودانيين ينطقونها رخوة كالغين وكذلك كثير من الخليجيين.
- ثم إن القاف التى ننطقها فى مصر مهموسة. والصواب أن تنطق مجهورة فيها شبه من الغين.

وقد قال بعض المحدثين تبعاً للأوربيين إن نطق القاف مجهورة مستحيل. وهذا القول غلط تماماً فأنا أنطقها مجهورة وأعلمها لِلُقّائى مجهورة منذ نحو ثلاثين سنة والحمد لله.

الكاف: تخرج من نقطة بعد أقصى اللسان إلى جهة الفم (قبل وسط اللسان) بالتقائها مع ما فوقها من سقف الحنك، وهى مهموسة شديدة مستفلة منفتحة مصمتة لا مشكلة لها.

الكاف الفارسية: هى شبيهة بالكاف العربية لكنها مجهورة وأهل المدن يستعملونها فى نطق الجيم والبَدْو وبعض أهل القرى يستعملونها فى نطق القاف. وهى هنا تسمَّى القاف المعقودة.

الجيم: هناك الجيم الفصحى وتنطق بالتقاء وسط مقدم اللسان بما فوقه من سقف الحنك وهى مجهورة شديدة مستفلة منفتحة مصمتة وهى معطشة. والتعطيش انفكاك الالتقاء بما يشبه الشين، وأهل اليمن وأهل المدن عندنا ينطقونها غير معطشة، أى مثل الكافل الفارسية گ = G).

الياء: تنطق بارتفاع وسط مقدم اللسان نحو الحنك حتى يقترب منه جدًّا وهى مجهورة رخوة مستفلة منفتحة مصمتة. وياء المدّ تخرج بنفس الطريقة، ولكن قرب وسط مقدم اللسان إلى الحنك يكون أكثر حتى يكاد يماسّ سقف الحنك.

الشين: تخرج باقتراب وسط مقدم اللسان من مقدم سقف الحنك، ومرور نَفَسها كثيفًا متفشيًا. وهى مهموسة رخوة مستفلة منفتحة مصمتة. وصفتها الخاصة التفشى.

الضاد: تخرج بامتداد طرف اللسان إلى مقدم سقف الحنك فى نقطة تحت موقع طرف اللسان فى نطق اللام وفوق موقعه فى نطق الطاء مع استعلاء أقصى اللسان ومرور نَفَسها بحافتى اللسان من قرب أقصاه إلى قرب طرفه حتى يخرج من الشدقين أو أحدهما. وهى مجهورة رخوة مستعلية مطبقة مصمتة. والنطق المصرى للضاد أنها شديدة. وهو ضعيف أو فاسد.

الطاء: تخرج بضغط مُقَدّم الحنك على مقدم اللسان (الثلث الأمامى للسان) مع تقعر وسط اللسان وارتفاع أقصاه وهى مجهورة- حسب النطق الفصيح، وشديدة، ومستعلية ومطبقة ومصمتة. لكن نطقنا الحالىّ فى شمالى مصر مهموس، والنطق المجهور الفصيح يشبه نطقنا المصرى للضاد. وهذا النطق المجهور يتحقق فى نطق أهل صعيد مصر للطاء فيجب علينا أن نتعلمه.

الدال: تخرج بضغط جزء من مقدم اللسان (أقل من الجزء المستعمل مع الطاء) على مقدم سقف الحنك- مع عدم ارتفاع أقصى اللسان. وهى مجهورة شديدة مستفلة منفتحة مصمتة.

التاء: تخرج بضغط طرف اللسان على مقدم سقف الحنك مع أصول الثنايا، وبدون استعلاء أقصى اللسان وبدون جهر. فهى مهموسة شديدة مستفلة منفتحة مصمتة.

- وتتميز التاء عن أختيها (الطاء والدال) بأنها مهموسة والطاء بأنها مطبقة والدال بأنها لا مهموسة ولا مطبقة.

الصاد: تنطق بامتداد مقدم اللسان إلى مقدم سقف الحنك دون أن يمسه مع استعلاء أقصى اللسان وتقعر وسطه ومرور نفَسها من المضيق بين مقدم اللسان ومقدم سقف الحنك: صافرًا. وهى مهموسة رخوة مستعلية مطبقة مصمتة. وهى صفيرية.

الزاى: تنطق بامتداد مقدم اللسان إلى مقدم سقف الحنك وصفحة الثنايا العليا ومرور نَفَسها زامراً صافرًا من المضيق بين مقدم اللسان ومقدم الحنك. وهى مجهورة رخوة مستفلة منفتحة مصمتة.

السين: تنطق بامتداد مقدم اللسان إلى مقدم سقف الحنك وصفحة الثنايا دون لمس ودون زمير ويمر نَفَسها من ذلك المضيق صافرًا.

- وتتميز الزاى عن أختيها (الصاد والسين) بأنها بأنها مجهورة، وتتميز الصاد عنهما بأنها مستعلية مطبقة، وتتميز السين بأنه لا هى مجهورة كالزاى ولا هى مستعلية مطبقة كالصاد.

الراء: وتخرج بامتداد طرف اللسان نحو مقدم سقف الحنك مرتعدًا حتى يلمس سقف الحنك عدة لمسات. وهى مجهورة رخوة مستفلة منفتحة مصمتة. وصفتها الخاصة التكرير ونفى صفة التكرير غلط، لأن الراء لا تتميز عن اللام إلا به. وتكريرها يحدث بمرور نفسها مع الزمير من

فوق ظهر اللسان، ولمسات طرف اللسان لمقدم سقف الحنك تقطع ذلك الزمير، وهذا التقطيع هو الذى يبدى صوت الراء مكرراً.

اللام: وتخرج اللام بامتداد طرف اللسان حتى يستقر لحظة على مقدم سقف الحنك، ويمر نفس اللام بصوتها من جانبى اللسان، واللام مجهورة رخوة منتفحة مستفلة ذلقية. لمرور نَفَسها من ذلق اللسان وهو مقدم جانبيه قرب طرفه.

النون: النون الصحيحة المظهرة تخرج بامتداد طرف اللسان حتى يستقر على مقدم سقف الحنك، مع تقدم سقف الحنك الرخو إلى الأمام فاتحًا السبيل إلى الخيشوم فيمرّ نَفَس النون بصوتها من الخيشوم فيكتسب غنته. ويستطيع الناطق التركيز على صوتها فى الخيشوم فيَقْوَى.

الظاء: تخرج بامتداد طرف اللسان بين الأسنان الأمامية مع استعلاء أقصاه وتقعر وسطه، ويمر نَفَسُها زامرً من حول طرف اللسان. وهى مجهورة رخوة مستعلية مطبقة مصمتة.

الذال: تخرج بامتداد طرف اللسان بين الأسنان الأمامية دون استعلاء اللسان ولا تقعره ويمر نفَسها زامرًا من حول طرف اللسان، وهى مجهورة رخوة مستفلة منفتحة مصمتة.

الثاء: تخرج أيضًا بامتداد طرف اللسان بين الأسنان الأمامية دون استعلاء اللسان ودون تقعره. ويمر نفسها غير زامر من حول طرف اللسان. وهى مهموسة رخوة مستفلة منفتحة مصمتة.

- وتتميز الظاء عن أختيها (الذال والثاء بأنها مستعلية مطبقة، وتتميز الثاء عن أختيها بأنها مهموسة، وتتميز الذال عن أختيها بأنها لا هى مستعلية مطبقة كالظاء ولا هى مهموسة كالثاء.
- ونظرًا إلى أن استعلاء الظاء وإطباقها يسحبان جسم اللسان إلى الداخل قليلاً أى يُنْقِصان امتداده فإن خروج طرف اللسان فى نطقها أى امتداده خارج ملتقى الأسنان يكون أقل من خروجه وامتداده مع الذال والثاء. وامتداد طرف اللسان خارج الأسنان فى نطق الثاء يكون أكثر منه مع الذال نظرًا إلى الحاجة لإبرازه لأنها مهموسة والذال مجهورة صوتها يسمع بسهولة.

الباء: تخرج بالتقاء الشفتين فى نقطة قريبة من باطنهما التقاء محكمًا يحبس النفس، ويأتى صوتها الزامر فيحتبس عند الشفتين لحظة قليلة ثم ينفجر. وهى مجهورة شديدة مستفلة منفتحة. وعدت مذلقة لخفتها.

الميم: تخرج بالتقاء الشفتين فى نقطة قريبة من ظاهرهما التقاء مُحْكَما فيتجه نفسها الزامر إلى الخيشوم فيكتسب غنتها. وهى مجهورة رخوة مستفلة منفتحة وعُدَّت ذلقاء لخفتها.

الفاء: وتخرج بالتقاء الأسنان العليا بباطن الشفة السفلى بلا استعلاء فى اللسان ولا إطباق ويمر نَفَسها غير زامر من حول ملتقى الأسنان العليا بباطن الشفة السفلى ومن أثناء ذلك الملتقى. وهى مهموسة رخوة مستفلة منفتحة، وعدّت مذلقة لخفتها.

الواو: تخرج بارتفاع أقصى اللسان واستدارة الشفتين ويمر هواؤها زامرًا حتى يخرج من بين الشفتين المستديرتين. وهى مجهورة رخوة مستعلية منفتحة مصمتة.

تقسيم الأصوات العربية إلى صوامت وحركات

يقصد بالصوامت ما يسمى أحيانًا الحروف الساكنة وهى كل حروف الألف بائية، ما عدا الألف والواو والياء المدّيان.

وسر قسميتها صوامت أو سواكن كونها أخفض صوتًا بدرجة كبيرة بالنسبة لحروف المدّ التى ذكرناها فكأنها صامتة لا صوت لها. وتسمى أيضًا جوامد وحروفًا صحيحة.

وحروف المدّ تسمى حركات طويلة، والفتحة والكسرة والضمة هى أبعاض حروف المد، أى أجزاء منها وتسمّى حركات قصيرة.

والواو والياء إذا تحركتا أو سُبِقتا بفتح تُعَدَّان من الصوامت.

الوحدة الصوتية والصورة الصوتية

والوحدة الصوتية (الفونيم Phoneme) الصورة الصوتية (أولوفون Allophone) الوحدة الصوتية كل حرف ألفبائى يشترك في بناء اللغة ويسهم فى تحديد معنى الكلمة. فالوحدات الصوتية عندنا تشمل ١- الحروف التسعة والعشرين المعروفة ٢- حروف المد (تعد حركات طويلة) ٣- الحركات القصيرة (الفتحة والضمة والكسرة) ٤- بعض الظواهر الأخرى كالتنوين والتنغيم وهذه فونيمات ثانوية.

الوحدة الصوتية تتحقق بالنطق الصحيح للحرف أى النطق المستوفى للمخرج والصفات العامة والخاصة. والصورة الصوتية هى كل نطق للحرف معيب أو منحرف عن النطق الفصيح بأى درجة.

مثلاً: الوحدة الصوتية للجيم تتمثل فى نطقها من وسط مقدم اللسان مجهورة شديدة مستفلة منفتحة مصمتة. معطشة مقلقله.

لكن هناك من ينطق الجيم من نقطة قبل وسط اللسان فتفقد المخرج وتفقد التعطيش. فهذه صورة صوتية للجيم.

وهناك من ينطق الجيم رخوة غزيرة التعطيش. فهذه فقدت الشدة وفقدت لزوم القلقلة. وهذه صورة صوتية أخرى للجيم.

- الوحدة الصوتية للسين تتمثل فى نطقها من بين مقدم اللسان ومقدم الحنك مع الأسنان مهموسة رخوة مستفلة منفتحة مصمتة صفيرية.

لكن في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هذه الصاد أصلها سين أى إن كلمة صراط أصلها سراط لكن لما فخمت الراء والألف والطاء ثقل ترقيق السين قبل هذه الأحرف المفخمة فنطقتها قبيلة قريش وبعض القبائل الأخرى بالصاد تفخيمًا للسين فاتصفت بالاستعلاء والإطباق ولم تكن كذلك وهى سين فهى هنا صورة صوتية للسين.

- الوحدة الصوتية للطاء مجهورة لكننا فى شمال مصر ننطقها مهموسة فطاء شمالى مصر صورة صوتية.

والقاف الفصحى (أى الوحدة الصوتية للقاف مجهورة لكننا فى مصر ننطق القاف مهموسة فهذه القاف المصرية صورة صوتية للقاف. وهكذا.

وهنا فرق بالغ الأهمية بين اللغة العربية واللغات الأوربية. فنحن فى اللغة العربية نعرف النطق السليم للوحدات الصوتية ونستطيع أن ننطقه ونقول هذا هو النطق السليم للوحدة الصوتية الفلانية (الباء أو التاء إلخ) لكن الأمر عند الأوربيين مختلف. فالوحدة الصوتية عندهم هى مجموع أنواع النطق للحرف الواحد دون تعيين نطق بعينه ليقال إنه النطق السليم المستوفى لمخرج الحرف وصفاته. فمكان أى حرف هو (خانة) تُسَدّ بأى نطق له. وكل أنواع نطق الحرف عندهم هى صور صوتية. أما الوحدة الصوتية لأى حرف فهى متوهمة فى الذهن فحسب، أخذاً من مجموع نطوق الحرف.

ولا يخفى أن الفضل فى احتفاظ العربية بالنطق السليم والفصيح وعدم ضياعه كما ضاع عند الأوربيين يرجع إلى ما أكرم الله به العرب: نزول القرآن بالعربية، وحرص العرب على تلاوته صحيحًا عربيًّا كما أُنْزِل. وتمثل هذا الحرص فى دراسة التجويد وأصوله، ووقوف العلماء بالمرصاد لكل نطق مخالف للنطق الفصيح وبخاصة فى القرآن الكريم. وبهذا حُفِظ أداء القرآن الكريم وحُفِظ اللغة العربية. ونسأل الله أن يستمر هذا. اللهم آمين.

المشكلات والاختلافات

أولاً: فى المخارج:

- **الهمزة:**

(أ) قال القدماء (الخليل وكثيرون بعده) إن الهمزة وحروف المد تخرج من الجوف. وكانوا يقصدون بالجوف الصدر. ونحن نعلم أن الصدر فيه الرئة والقصبة الهوائية والحنجرة فى أعلى القصبة الهوائية لكنهم لما أحسوا بأزيز جهر الهمزة وحروف المدّ فى الصدر، والصدر هو أعلى الجوف، نسبوا خروج الهمزة وأخواتها إلى الجوف، قاصدين الصدر. ثم صرحوا بنسبتهن إلى الصدر، ثم إلى الرئة ثم أخيرًا إلى الحنجرة. وكان ذلك فى القرن الخامس الهجرى وما بعده. ثم لما جاء الإمام ابن الجزرى فى القرن الثامن والتاسع رجع إلى كلام الخليل وقال إن الهمزة وأخواتها يخرجن من الجوف فاستمر هذا الخطأ وترتب عليه الكلام عن المخارج المقدرة.

وقد ظهر انحراف آخر فى القرن الرابع والخامس ذلك أن الإمام أبا محمد الحسن بن سعيد العمانى ذكر الجَوْف فى كتاب (ألفه سنة ٤١٣هـ) (الأوسط فى القراءات) أن الليث قال إن هذه الأحرف هوائية لأنهن يخرجن من هواء الفم، ونسب إلى المازنى[1] قوله: لأنها تنسل من جَوّ الحنك وعبارة

(١) هو الإمام النحوى أبو عثمان بكر بن محمد (ت٢٤٩هـ). ينظر (كتاب الأوسط تح د. عزة حسن) ٨٢/١.

المتأخرين "جوف الفم" هذا كله خطأ محض حسب ما بيّنّا، لأن تجويف الحنك والحلق ليس فى أى منهما (حَلَمة) تولد الصوت، وإنما هما ممَرّ للصوت المتولد من ارتعاد الوترين الصوتيين كما قلنا.

(ب) المحَدِّثون التابعون للأوربيين يُجْمعون على أن الهمزة ليست مجهورة. وكلامهم هذا غلط مئة بالمئة، فإن الهمزة قطعة جهر. ومن حقنا أن نحتج لكلامنا بما قرره العلماء فى الوقف على كلمة (دفء) ونحوها حيث قال فى الرعاية (باب الهمزة فصل ٦، ٧) (لابد من التكلف لإظهارها) يعنى لإظهار الهمزة، فنجهر بها بعد الفاء.

- **الهاء:** الهمزة والهاء من الحنجرة لا من أقصى الحلق.
- **الغين والخاء:** من أقصى اللسان مع ما فوقه من أقصى الحنك مثل القاف لا من أدنى الحلق أو أعلاه كما قال القدماء.
- **والجيم والياء والشين:** من وسط مقدم اللسان لا من وسط اللسان كما قال القدماء.
- والجيم ليست مركبة من دال وجيم (dj) كما قال بعض المحدثين وإنما هى بسيطة كما قال القدماء.،
- الترتيب بين هذه الثلاث أن الشين هى الأقرب إلى طرف اللسان بدليل إدغام لام (ال) فيها وهى لا تدغم إلا فى حروف طرف اللسان، ولا تُدْغَم فى الجيم ولا الياء.

- **الضاد:** من حافتى اللسان فهى جانبية أى منحرفة ويقع طرف اللسان — عند نطقها — على مقدم الحنك تحت موقعه فى نطق اللام وفوق موقعه فى نطق الطاء، وجَرْس صوتها شبيه بصوت الظاء وهكذا. وهو الفصيح ولا إشكال فى هذا، لأن جرس الذال قريب من جرس الزاى ولا مشكلة، ولأن جرس الضاد يتميز عن جرس الظاء بزيادة تفخيمه، وبأن طرَف اللسان لا يمتد بين الأسنان فى نطق الضاد كما يحدث فى الظاء. والذين يقولون إن النطق الفصيح يغير المعنى ينطقون الضاد وفى ذهنهم أنهم ينطقون ظاء فهم المخطئون.
- **الراء:** يمرّ نفسها من فوق ظهر اللسان لا من جانبى اللسان ويستمرّ حتى يخرج وتقطعه لمسات اللسان لمقدَّم سقف الحنك. وهذا التقطع هو الذى يسمّى التكرير. وهو صفة أساسية لها. وقد قال القدماء إنها منحرفة يمرّ نَفَسها من جانبى اللسان وهذا غلط.

ثانياً فى الصفات:

أ- تعريف سيبويه للجهر بأنه (إشباعُ الاعتماد على الحرف فى موضعه ومَنْعَ النفس من أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتمادُ ويجرى الصوت) فيه جملة واحدة صحيحة وهى قوله (ويجرى الصوت) فلو أنه قال: (الجهر جَرَيان الصوت مع الحرف عند نطقه) لكان تعريفه صحيحًا

والراجح أن ما ذكره قبل عبارة (ويجرى الصوت) يقصد به ما ظنه أنه سبب الجهر، وهو غلط، إذ ليس هناك اعتمادٌ (ضغط) على مخرج الحرف ولا منعُ نَفَس. وإنما الجهر هو الصوت الذى ينشأ بسبب ارتعاد الوترين الصوتيين ارتعادًا شديد عند مرور النفس المندفع من الرئة بينهما وهما جدُّ متقاربين. ثم إن تعريف أى ظاهرة لا ينبغى أن يدخل فيه سببها فهذا خطأ ثان نَقصِدُ بذكره تعليم الدارسين. ونقصد أيضًا بذكره التنبيه على أن المحدثين يقعون فى نفس الخطأ عندما يذكرون أن الجهر اهتزاز الأوتار الصوتية، ويقتصرون على هذا السبب وهذا خطأ ثالث.

ب- المتأخرون يعرفون الهمس بأنه جريان النَفَس وهذا خطأ فاحش، فإن جريان النفس هو الرخاوة لا الهمس وقد وقعوا فى إشكال بسبب هذا الخطأ (ينظر جهد المقل)[1].

جـ- عرف سيبويه ومن بعده الشدة بأنه حبس الصوت أى عند نطق الحرف. واستعمال لفظ الصوت فى تعريف الشدة غلط، لأن الشدة والرخاوة هى أمر حبس نَفَس أو جريان نفَس سواء كان مع النفس صوت أو لا. فاستعمال لفظ الصوت يُخِلّ بالتعريف، إذ قد يكون هناك عدم صَوت ويكون الحرف رخوًا يجرى معه النفس كالثاء والحاء والخاء والسين والشين إلخ. فالتعريف بهذا غير مانع.

(١) نشر قرطبة ٦٨، قدورى١٤٧.

• وكذلك الأمر فى تعريف الرخاوة بأنها جريان الصوت. فإن الأمر في الشدة والرخاوة أمر حبس نفس أو جريان نفس وليس أمر صوت. والتعريفات لابد أن تكون دقيقة.

د- بعض المتأخرين يعرّفون الاستعلاء بأنه ارتفاع اللسان هكذا بدون تخصيص والصواب أن الاستعلاء هو (ارتفاع أقصى اللسان خاصة لا أى جزء من اللسان.

هـ- كذلك بعض المتأخرين يعرّف الاستفال بأنه استفال اللسان. والحقيقة أن الاستفال يحدث واللسان فى وضعه الطبيعى أى لاينخفض أقصاه. فالدقيق أن يقال إن الاستفال هو عدم استعلاء اللسان.

و- الإطباق. كثيرون من المتأخرين يفهمون الإطباق على أنه تحَدُّب وسط اللسان حتى يلتصق بسقف الحنك. ونحن نفهمه على أنه تقعر وسط اللسان بحيث يكون سقف الحنك كالطبق له، أى كالغطاء[1] للوعاء الذى نأكل فيه فهناك تجوف بينهما.

ز- أخذ كثير من المتأخرين من كلام سيبويه أن الراء تتصف بالانحراف. وهذا خطأ فإن نفَس الراء يجرى من فوق ظهر

(١) العامة يستعملون كلمة (طبق) للصَّحْن الذى يوضع فيه الطبيخ على المائدة. لكن (الطبق) فى الفصحى هو غطاء ذلك الصحن.

اللسان لا من جانبيها. والمنحرف هو الذى يجرى نفسه من جانب اللسان.

ح- كثير من المتأخرين حكموا بأن الراء غير مكررة وهذا خطأ فاحش، لأن التكرير صفة ذاتية للراء،و بدون التكرير لا تكون الراء راء بل لامًا. وقول بعضهم إن صفة التكرير تُذكر لتجُتَنَب تأويل مشحون بالزيف.

ط- وقد ذُكر التفشى فى حروف أخرى ولكن لا شك أنه فى الشين أشهر وأقوى.

الدراسة التركيبية للأصوات Phonology

١- القلقلة

ومعناها التحريك وهى تكون فى ما اجتمع فيه الجهر والشدة من الحروف وهو خمسة (قطب جد) فإذا سكنت هذه الحروف فإنها تُقلقل ليتضح صوتها وإذا كان السكون للوقف بولغ فيه.

٢- الغنة للميم والنون والتنوين السواكن

- الغُنّة وهى نغمة فى الأنف تصحب نطق الميم والنون والتنوين. وهذه الغنة تكون فيهن خاصة لمرور نَفَسهن من الخيشوم. وتكون فى أضعف حالاتها إذا تحرّكْنَ
- الميم: إذا سكنت الميم ووقعت بعدها ميم أخرى (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) (البقرة ١٠) فالحكم إدغام مثلين مع غنة الميم المشدّدة. وإذا وقعت بعدها باء (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) (البقرة ٨) فالحكم إخفاء الميم إخفاء شفويًّا.
- وإذا وقع بعد الميم الساكنة اى حرف آخر- أى غير الميم والباء فالحكم إظهار نطق الميم الساكنة، ويسمى هذا إظهارًا شفويًّا.
- النون:إذا سكنتِ النون وبعدها حرف من الحروف (الأعمق الحلقية) فإنها تكون مظهرة تخرج بعملين: إلصاق اللسان بمقدم الحنك والاعتماد فى الأنف على زمير النون بلاغنة. (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ

عَنْهُ) (الأنعام ٢٦) (مِنْ هَادٍ) (الرعد٣٣). (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) (الرعد ٧)، (مَنْ أَمَرَ) (النساء ١١٤)، (وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا) (النبأ)، ((أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) (الفاتحة)، (مِنْ عَمَلٍ) (الأنعام ٥٤)، (لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة ١٨). (وَانْحَرْ) (الكوثر)، (فَإِنْ حَاجُّوكَ) (آل عمران ٢٠) (غَفُورٌ حَلِيمٌ) (البقرة ٢٢٥)، (فَسَيُنْغِضُونَ) (الإسراء٥١) (مِنْ غِلٍّ) (الأعراف ٤٣) (وَرَبٌّ غَفُورٌ) (سبأ ١٥)، (وَالْمُنْخَنِقَةُ) (المائدة ٣) (مِنْ خَلاقٍ) (البقرة/ ١٠٢)، (حَكِيمٍ خَبِيرٍ) (هود ١).

- وإذا سكنت وبعدها حرف من حروف أوائل كلمات البيت:

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما   زد فى تقى دم طيبًا ضع ظالمًا

فإن النون تُخْفَى وذلك بجعل اللسان وسط الفم لا يلصق بالحنك (أى لا عمل له) مع الاعتماد على زَميرها فى الأنف (عمل واحد). وهذا هو الإخفاء الحقيقى الأمثلة بترتيب الكلمات المقصودة فى البيت (يَنْصُرْكُمْ) (محمد ٧) (مِنْ صَلْصَالٍ) (الحجر ٢٦)(رِيحًا صَرْصَرًا) (فصلت١٦)(أَأَنْذَرْتَهُمْ) (البقرة ٦)(مَنْ ذَا الَّذِي) (البقرة ٢٥٥)(سِرَاعًا ذَلِكَ) (ق ٤٤)(مَنْثُورًا) (الفرقان ٢٣)(مِنْ ثَمَرَةٍ) (البقرة ٢٥)(تَمْهِيدًا. ثُمَّ) (المدثر ١٤-١٥)(مِنْكُمْ) (البقرة ٨٥)(مَنْ كَانَ) (البقرة ٩٧)(رِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال ٤) (نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ) (يونس ١٠٣)(مَنْ جَاءَ) (الأنعام ١٠٦)(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) (يوسف ١٨)(إِنْشَاءً) (الواقعة ٣٥)(إِنْ شَاءَ اللَّهُ)

(البقرة ٧٠)(عِلْمٍ شَيْئًا) (النحل ٧٠)(يَنْقُضُونَ) (البقرة ٢٧)(مِنْ قَبْلُ) (البقرة ٢٥)(ثَمَنًا قَلِيلًا) (البقرة ٤١)(مِنْسَأَتَهُ) (سبأ ١٤)(مِنْ سُوءٍ) (آل عمران ٣٠) (عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ) (التحريم ٥)(أَنْدَادًا) (البقرة ٢٢)(مِنْ دَابَّةٍ) (الأنعام ٣٨)(قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ) (الأنعام ٩٩)(تَنْطِقُونَ) (الصافات ٩٢) (مِنْ طَيِّبَاتِ) (البقرة ٥٧)(حَلالًا طَيِّبًا) (البقرة ١٦٨)(يُنْزَفُونَ) (الصافات ٤٧)(فَإِنْ زَلَلْتُمْ) (البقرة ٢٠٩)(يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) (طه ١٠٢) (الأنفال١) (وَإِنْ فَاتَكُمْ) (الممتحنة ١١)(قَوْمًا فَاسِقِينَ) (التوبة ٥٣)(أَأَنْتَ) (المائدة ١١٦)(أَأَنْتَ) (المائدة ٣٩)(جَنَّاتٍ تَجْرِي) (البقرة ٢٥)(مَنْضُودٍ) (هود ٨٢)(مَنْ ضَلَّ) (المائدة١٠٥)(مَسْجِدًا ضِرَارًا) (التوبة١٠٧)(يَنْظُرُونَ) (البقرة ٢١٠) (مَنْ ظَلَمَ) (الكهف ٨٧)(قَوْمٍ ظَلَمُوا) (آل عمران ١١٧)

- وإذا سكنت وبعدها واو أو ياء فى أول كلمة أخرى فإنها تدغم بغنة فى الأنف أقوى من غنة الإخفاء. (عمل واحد).
- وإذا سكنت وجاء بعدها نون فى كلمتها أو فى الكلمة التى بعدها، أو كانت نونًا مشددة. فإنها تدغم بغنة قوية جدًا مع إلصاق اللسان بالحنك (عملان).
- وإذا سكنت وجاء بعدها ميم فإنه تدغم بلا عمل للسان أو الأنف ولكن تكون هناك غنة الميم. (لا عمل للنون). (إن منكم/ وإن من شيء).

- وإذا سكنت وجاء بعدها راء أو لام فإنها تدغم بلا عمل للسان أو الأنف. (لاعمل).
- وإذا سكنت وبعدها باء تقلب ميمًا. والغنة للميم، بقدر غنة الإخفاء ولا عمل للنون.

٣- التفخيم والترقيق

التفخيم سِمَنٌ يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه.

والمصطلح المستعمل في التعبير عن تفخيم اللام هو التغليظ.

والترقيق نُحُولٌ يدخل على جسم الحرف فلا يمتلئ الفم بصداه.

- وقد عرفنا أن الحروف منها ما هو مُسْتَعْلٍ وما هو مستَفِل.
- والآن نقول إن الحروف المستعلية كلها مفخمة سواء كانت متحركة أو ساكنة، جاورت مستفلاً أو غيره. وقد عرفنا أن الحروف المستعلية مجموعة في عبارة (خص ضغط قِظْ). وأشد هذه الحروف تفخيمًا هو حروف الإطباق(ص ض ط ظ).
- وأما حروف الاستفال فكلها مرققة لا يجوز تفخيم شيء منها إلا الراء واللام في بعض أحوالهما، وإلا الألف المدية فإنها تابعة لما قبلها: فإذا وقعت بعد الحرف المفخم تُفَخَّم وإذا وقعت بعد الحرف المرقق تُرَقَّق. والواو المدية تفخم بعد الحرف المفخم أيضاً. أما الياء المدية فإنها مرققة في كل حال.

(تفخيم الراء وترقيقها):

١- الراء المفتوحة والمضمومة تفخمان مطلقًا عند حفص. نحو: رَبّ: رُبَمَا.

٢- الراء المكسورة ترقق مطلقًا. نحو رِزْقا، الغارمين، في الرِقاب، والفجْرِ وليال.

٣- الراء الساكنة أ- إن كانت في أول كلمتها فهي مفخمة على كل حال مثل (وَارْزقنا) (وَارحمنا) (أَرْكض) (أَمِ ارْتابوا).

ب- إن كانت في وسط كلمتها فهي تفخم بعد الفتح والضم، وأما بعد الكسر فإنها ترقق نحو (مِرْية). أما إذا كانت كسرة ما قبلها غير أصلية أو منفصلة عارضة نحو (إنِ ارتبتم) أو منفصلة لازمة (الذى ارتضى لهم) أو كان بعدها حرف استعلاء فإنها تفخم (قرطاس) (فرقة، إرصادا) بالتوبة، (مرصاد) بالنبأ. فإنها تفخم في ذلك كله حتى لو كان حرف الاستعلاء الذى بعدها مكسورًا، أو كان قبلها وبعدها كسرة تبعًا لما أخذ به الداني .

- والساكنة المتطرفة بعد فتح أو ضم تفخم، وبعد كسر ترقق.
- والموقوف عليها بالسكون (أى لا بالروم أو الإشمام) تفخم إن سبقها فتح أو ضم وترقق إن سبقها كسر.
- يتلخص من ذلك أن الراء ترقق أ- إن كانت متحركة بالكسر، ب- أو ساكنة وقبلها كسر أصيل متصل بها.

تغليظ اللام وترقيقها:

اللام تُغَلَّظ فى اسم (الله) عز وجل حتى لو ألحق به ميم (اللهم) إذا سبقها فتح أو ضم وترقق إذا سبقها كسر.

مراتب التفخيم:

- حروف الإطباق أشد تفخيماً وأضعفها الظاء، تليها سائر حروف الاستعلاء.
- ما كان مفتوحًا بعده ألف. (قال).
- ثم ما كان مفتوحًا بلا ألف (لقد كان).
- ثم ما كان مضمومًا (قتلوا. يقول).
- ثم ما كان ساكنًا (يَقْتلون/ أن تُقْبَل منهم/ اقرأ).
- ثم ما كان مكسورًا. (لا قِبَل لهم. وإذا قِيل).

٤- الإدغــــام

معناه خلط الحرفين المتماثلين أو المتجانسين أو المتقاربين فيصيران حرفًا واحدًا مشددًا يرتفع اللسان عند النطق بهما ارتفاعة واحدة.

- وكيفية ذلك: أن تجعل الحرف الذى يراد إدغامه مثل الحرف المدغم فيه فتجعل اللام فى مثل الشمس شينًا وفى نحو النار نونًا فإذا حصل المثلان والأول ساكن وجب إدغام الأول فى الثانى.

- وفائدة الإدغام تخفيف النطق، لثقل عَوْدِ اللسان إلى المَخْرج الأول أو مقارِبِهِ بعد مفارقته، فإن ذلك يشبه مشى المقيد.
- وشرطه أن يلاقى الحرف المدغَمَ فيه خطًا أى لا يكون بينهما فاصل خطى فلا يجوز إدغام النون فى قوله تعالى (**أَنَا نَذِيرٌ**) لوجود الألف خطًا. أما الفاصل النطقى دون رسم فإنه لا يضر فيجوز إدغام (إنه هو) برغم وجود مدّ الصلة فى نطق كلمة (إنه).

وهناك شرط فى المدغم فيه وهو أن يكون أكثر من حرف إن كان الإدغام من كلمة مثل (خلقكم) (إدغام القاف فى الكاف جائز لأن بعد الكاف ميمًا) ولا يجوز إدغام القاف فى الكاف فى نحو (خلقك) لأن الكاف هنا حرف واحد ليس معه حرف آخر.

- ومسوغات الإدغام ثلاثة: التماثل بأن يكون الحرفان المراد إدغام أحدهما فى الآخر مثلين (تاء وتاء، ميم وميم مثلاً)، والتجانس، وهو أن يكون الحرفان من مخرج واحد مع اختلاف فى صفاتهما كالتاء مع الطاء، والتقارب وهو أن يكون الحرفين من مخرجين متقاربين (أى متجاورين) سواء تقاربت صفاتهما أو لم تتقاربا وذلك كالدال مع السين، والتاء مع الثاء.
- الإدغام مستويان أو قسمان: صغير وهو ما كان الحرف الأول منه أى المراد إدغامه-ساكناً. وكبير وهو ما كان الحرف الأول منه متحركًا.

وسمى كبيرًا لأن فيه خطوة أزيد من الصغير وهى إسكان الحرف المتحرك. ودراستنا هذه لا تشمل الإدغام الكبير.

- وللإدغام موانع. فإذا تحققت المسوغات فلابد من الخُلوّ من الموانع وهى:
- كون الأول من الحرفين المراد إدغام أحدهما مُضَعَّفًا نحو (ربّ بما)، أو تاء الضمير نحو (كنتُ ترابًا).
- كونه أى الحرف الأول باقيًا بعد جزم نحو (يخل لكم) (ومن يبتغ غير) (وإن يك كاذبًا) ونحو (ولتأْتِ طائفة) ونحو (ولم يؤت سعة من المال). فالإدغام ممنوع فى كل هذا.
- (يرجع إلى نهاية القول المفيد للشيخ محمد مكى نصر (الذى نستقى منه بتصرف أبواب المعالجة التركيبية) لإتمام الكلام عن الإدغام وبخاصة الكبير. وسنقف مع الصغير وقفة مجتزئة بقدر ما يتطلب التجويد على قراءة حفص).

الإدغام الصغير:

- وهذا الإدغام منه ما هو واجب وهو ما كان بين مثلين أو متجانسين (والأول ساكن)، نحو (أينما يوجههُّ)(يدرككُّم الموت) (ربحت تِّجارتهم) (ما عبدتُّم) (أحطتُّ) (قالت طَّائفة)(قد تَّبين) (فلما أثقلت دعوا).

- ويشترط أن لا يكون الأول هاء سكت ففى قوله تعالى (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ. هَلَكَ) يُوَقَّف وقفة لطيفة على الهاء الأولى من غير قطع نَفَس ليتبين عدم الإدغام لأنها هاء سكت لاحظّ لها فى الإدغام.
- كما يشترط أن لا يكون الحرف الأول حرف مدّ نحو (آمنوا وعملوا الصالحات) (الذى يوسوس) (إلا بإذنه يعلم) (سبحانه أن يكون له ولد) والمد هنا يسمى مدّ التمكين (أى تمكين المد بلا إدغام). أما إذا كانت الواو أو الياء حرفَ لين فيجب الإدغام نحو (عصوا وَّكانوا) ونحو (لدىّ).
- كذلك يشترط أن لا يكون الأول حرفًا حلقياً نحو (فسبحه) (أبلغه مأمنه) (فاصفح عنهم) (أفرغ علينا) (لا تزغ قلوبنا)، وذلك لعمق حروف الحلق.
- أما سائر الحروف فإن الواقع في قراءة حفص:

١- إدغام الباء فى الميم فى (**يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا**). (سورة هود).

٢- إدغام الثاء فى الذال (**يَلْهَث ذَّلِكَ**). (الأعراف ١٧٦).

٣- إدغام اللام فى الراء نحو (**بل رّبكم**) (قل رّب).

اللام الشمسية والقمرية:

١- إذا كانت اللام فى كلمة (الْ) للتعريف فإنها تُظْهَر وجوبًا إذا كان أول الاسم الذى بعدها حرفًا من حروف هذه العبارة (إبغ حجك

وخف عقيمةُ) مثل (الْأرض، الْبيت، الْغيب، الْحقّ، الْجنّة، الْكتاب، الْوعد، الْخسران، الْفصل، الْعلم، الْقتال، الْيَمّ، الملك، الْهون) وتسمى فى هذا كله لامًا قمرية لظهورها واضحة كما يظهر القمر مع النجوم، أو حملاً على ظهورها فى كلمة القمر.

٢- تدغم لام (ال) التعريفية إذا دخلت على كلمة أولها حرف من سائر الحروف (أى ما عدا الحروف القمرية) وهى التاء (التائبون)، الثاء (نعم الثواب)، الدال (الدين)، الذال (الذكر)، الراء (الرحمة)، الزاى (الزبور)، السين (السماء)، الشين (الشمس)، الصاد (الصيام)، الضاد (الضالين)، الطاء (الطور)، الظاء (الظالم)، اللام (الليل)، النون (الناس)، وتسمى فى هذا كله لامًا شمسية، قال فى نهاية القول المفيد: تشبيهًا لهذه الحروف بالشمس واللام بالكوكب بجامع خفاء كلّ عند الآخر" وهو كلام طريف.

- في قوله تعالى (**وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ**) (القيامة ٢٧)، (**كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**) (المطففين ١٤) يسكت الإمام حفص سكتة لطيفة بعد نطق نون (من) فى آية القيامة وبعد نطق لام (بل) في آية المطففين لتجنب إدغام النون فى الراء فى الموضع الأول، واللام في الراء فى الموضع الآخر.

وهناك سكتة لطيفة أيضًا بعد نطق ألف (عوجا) بلا تنوين فى قوله تعالى (**وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا. قَيِّمًا**) (الكهف١) وهذه لتجنب اللبس)

- تُظْهَر اللام الساكنة وجوبًا باتفاق القراء من الفعل إذا كان بعدها نون متحركة سواء كان الفعل ماضيًا أو أمرًا نحو (أرسلْنا) (أنزلْنا) (فضّلْنا (قُلْنا) (أَدْخِلْنى) (وأَنزِلنى) (واجعلنى)، أو كان بعد اللام تاء نحو (فالْتقمه الحوت) (فالتقى الماء على أمر قد قدر) (فلْتَقم طائفة منهم).
- وكذا تظهر لام قل عند أربعة أحرف:

النون نحو (قل نعم) (قل نار)

السين نحو (قل سموهم) (قل سلام)

التاء نحو (قل تعالوا) (قل تمتعوا)

الصاد نحو (قل صدق الله)

٥- المدّ والقصر

المقصود بالمد زيادة طول نطق الحرف، كما فى نطق حروف المدّ المعروفة وهى الألف والواو والياء. والمدّ قسمان: أصلى وفرعى.

فالمد الأصلى هو المد الطبيعى الذى لا تقوم ذات حرف المد إلا به. وذلك فى نحو كاتب، مُوقن، زِينة. ومقداره حركتان. والحركة مقدارها

ثَنْيُ الإصبع أو فَتْحُها، وبالمقياس الحديث نحو ١٦/١٠٠ من الثانية فالمد الأصلى ٣٢/١٠٠ من الثانية أى نحو ثلث ثانية.

والمد الفرعى هو المد الزائد على المد الأصلى.

وله أسباب إما لفظية وإما معنوية وقد يجتمعان.

فالأسباب اللفظية:

أ- وقوع همزة بعد حرف المد فإن كانت الهمزة فى نفس الكلمة مثل (السماء) و(تبوء) و(تفيء)، سُمّى مدًّا متصلاً وهذا القسم يجب مده مدًّا زائدًا بأى مقدار من ثلاث حركات إلى ست حسب مذاهب القراء ومقدار المد عند عاصم شيخ حفص أربع حركات أو خمس .

- وإن كان الحرف الممدود فى آخر كلمة والهمزة فى أول الكلمة التالية نحو (بما أنزل) و(فى أنفسكم) و(قولوا آمنا) فإنه يسمى مدًّا منفصلاً وهذا القسم يجوز قصره أى عدم مده مدًّا زائدًا ويجوز مده مدًّا زائدًا من ثلاث حركات إلى خمس ومقدار المد عند عاصم شيخ حفص أربع حركات أو خمس أيضًا. وهذا الحكم يجرى فى حالة وصل القراءة. أما فى حالة الوقف فالحكم هو القصر فقط كما إذا وقفت على قوله تعالى (قُوا) ولم تصلها بكلمة (أنفسكم).

ب- ثانى الأسباب اللفظية للمد الفرعى الزائد هو وقوع سكون بعد حرف المد.

- فإذا كان السكون بسبب الوقف مثل: رب العالمين. فإنه يجوز الوقف على ذلك بالقصر وبالمدمن ثلاث حركات إلى ست حركات.

- وإن كان السكون لغير الوقف أصبح المد لازمًا وهو على أربعة أقسام: لازم كلمى (المدّ واقع فى كلمة) ولازم حرفى (أى فى حرف) وكل منهما إما مثقّل مثل (الحرف المشدد (الم: ألف لامٍ مّيم) أو مخفف (أى غير مشدد(الر ألف لامْ را)).

- فاللازم الكلمى المثقّل هو أن يقع بعد حرف المدّ حرف مشدّد فى نفس الكلمة مثل الطامّة والحاقّة والصاخّة والدوابّ، ومثل أتحاجُّونِّى فيها مدّان لازمان. ومقدار المد اللازم ست حركات.

- أما إذا كان المدّ فى آخر الكلمة والسكون فى أول الكلمة الأخرى فإن المدّ يحذف فى اللفظ نحو (وقالوا اتَّخذ) (والمقيمى الصَّلاة) (إذا الشّمس كوّرت).

- واللازم الكلمى المخفف هو أن يأتى بعد حرف المد ساكن وصلاً ووقفًا مثل (**آلآنَ**) فى موضعى يونس (٥١ و ٩١) وكذلك (**قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ**) (الأنعام ١٤٣ و ١٤٤) (**آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ**) (يونس ٥٩)، (**آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**) النمل ٥٩).

- واللازم الحرفى هو أن يكون فى اسم حرف من فواتح السور وبعده ساكن فإن كان الساكن للإدغام كان مدًّا لازمًا حرفيًا مثقلاً مثل

اسم (لام) في قوله تعالى (ألف لام ميم) حيث أدغمت الميم التى فى آخر اسم اللام في الميم التى في أول اسم ميم، وإن كان لغير الإدغام كان لازمًا حرفيًا مثل ميم كلمة (لام) فى (ألف لام را) (أول يوسف).

● والأحرف التى وقع فيها المد اللازم الحرفى مثقلاً ومخففًا مجموعة فى عبارة (نقص عسلكم) وكلها فى الحروف التى فى أوائل السور. أما سائر حروف أوائل السور وهى المجموعة فى عبارة (حى طهر) فتمد مدًّا طبيعيًّا فقط.

والسبب المعنوى هو قصد المبالغة فى النفى وهو قسمان:

أحدهما: مدّ تعظيم وهو فى (لا) النافية فى كلمة التوحيد لا إله إلا الله. لا إله إلا أنت. لا إله إلا هو.

الثانى: مد التبرئة وهو مروى عن حمزة فى (لا ريب فيه). (لا شية فيها). (لا قبل لهم بها). (لا إكراه فى الدين). (لا إثم عليه).

والمد للسبب المعنوى وَسَط (أربع حركات) لا يبلغ الإشباع لضَعْفه عن السبب اللفظى.

٦- المقاطع الصوتية

المقطع الصوتى هو أقل تجميعية لأصوات اللغة.

والأساس الصوتى لتقسيم الكلام إلى مقاطع فى اللغات المقطعية هو تذبذب مستوى علو الأصوات اللغوية المتوالية فى الكلام بين قاع

(للأصوات العديمة الإسماع)، وقمة (للأصوات الكاملة الإسماع، وأصوات بين القمة والقاع).

والمقطع الصوتى هو مجموع الأصوات التى تشكل مُنْحَنًى إسماعيًا كاملاً(من قاع إلى قمة إلى قاع)، وبهذا يتميز تمييزًا يساعد —مع عوامل أخرى— على تبيُّن مفاصل الكلم.

● وتمييز المقاطع يقتضى تحديد درجة علو كل من الأصوات اللغوية.

وقد نبّه علماء العرب على أن حروف المد هى أعلى حروف الأبجدية صوتًا. ويؤخذ من ذلك أن الحركات تعد من أعلى حروف العربية أصواتًا، لأن الحركات إنما هى أبعاض لحروف المدّ. وأيضًا نبه علماء العرب على نصوع بعض الحروف الصامتة وعلى خفاء بعضها الآخر، وهذا لا يُنْظَر إليه فى هذا الباب. لكن الأوربيين استحدثوا مقياسًا لمدى علوّ أصوات حروف الهجاء من خمس درجات نطبقه فى العربية كما يلى: (نرتبها ترتيباً تصاعديًا).

١- أصوات درجة إسماعها هى الأدنى (من صفر إلى ١/٥) وهى:

الصوامت المهموسة:

أ- الشديدة (ت، ك).

ب- الرخوة(هـ، ث، ح، خ، س، ش، ص، ف، هـ).

٢- الصوامت المجهورة: (٢/٥ - ٤/٥)

أ- الشديدة (ب، ج، د، ط، ق، أ).

ب- الرخوة (ل، م، ر، و، ى، ذ، ض، ظ، ز، ن، غ، ع).

٣- الحركات (ه/٤ - ه/°)

أ- الضيقة (واو المد، ياء المد، الضمة، الكسرة).

ب- الواسعة (ألف المد مرققة ومفخمة، الفتحة مرققة ومفخمة).

- ضابط عملى لتحديد المقطع في العربية:

المقطع تأليف صوتى يبدأ بصامت متحرك وينتهى عندما يليه صامت متحرك آخر.

وبعبارة أخرى: كل صامتٍ متحركٍ فهو بدايةٌ لمقطع جديد.

- أنواع المقاطع:

فى العربية ستة أنواع من المقاطع الصوتية تتدرج على النحو التالى:

(ص يرمز إلى صامت، ح يرمز إلى حركة قصيرة، حَ يرمز إلى حركة طويلة).

النوع الأول: ص + ح مثل كُ/تِ/ب (كُ ص وهو الكاف + ح وهى الضمة، وكذلك الحال فى المقطعين التاليين، فلا فرق فى الحركة بين ضم وفتح وكسر، ولا فى الحركة الطويلة بين ألف مدّ وواو مدّ وياء مد.

النوع الثانى: ص + حَ مثل (نو/حي/ها).

النوع الثالث: ص + ح + ص نحو (مُسْ/تَغْ/فِرْ). (ثلاثة مقاطع).

النوع الرابع: ص + حَ + ص مثل (بابْ) (ضالْ/لِينْ).

النوع الخامس: ص+ ح + ص ص مثل حُرٌّ. عَصْرْ. جَيْشْ (السكون الثانى للوقف).

النوع السادس: ص + حَ + ص ص مثل سارٌّ / حادٌّ/ جادّ (عندالوقف).

- ويمكن جمع كل الأنواع فى العبارة التالية (أ/ لا/ تَشْ/تاقْ)/ كُلْ/ سارّْ). (عند الوقف على المقاطع الثلاثة الأخيرة).
- كل ما ينطق يحسب فى المقطع ولو لم يكن مكتوبًا. (مثل التنوين ومدّ الصلة).
- كل ما لا ينطق لا يحسب ولو كان مكتوبًا. مثل الحروف التى تدغم ولا تظهر فى النطق ك(ال) فى أول الرحمن وفى أول الرحيم في البسملة.
- التنوين يحسب صامتًا ساكنًا.
- الكلمة الواحدة يمكن أن تتكون من مقطع واحد، ومن نوعين أو أكثر من المقاطع متماثلَة أو مختلفَة مثل: إِنْ/تـ/قَام/ إِحْ/تِ/فا/لُنْ (هذه النون الأخيرة هى نون التنوين)، الزّمنُ (الزاى مشددة بحرفين أولهما ساكن يدخل فى تكوين المقطع الأول (فكأنها اَزْ/زَ/مَ/نُ/ (لاحظ أن لام (ال) لم تظهر لأنها لا تنطق هنا لأنها شمسية مدغمة في الزاى يَسْ/تَنْ/بِ/ئُو/نَ/ك..

- الكلمة العربية يمكن أن تتكون من مقطع واحد أو أكثر إلى نحو عشرة مقاطع.

لـ/أَسْـ/تَشْـ/بِـ/تَنْـ/نَ/ك

لَـ/يَسْـ/تَـ/لِـ/بُنْ/تَـ/كُـ/مُو/ها.

- أهمية المقاطع فى لغتنا العربية محدودة، لانها لا توظَّف فى التعبير عن المعانى كما فى بعض اللغات الأخرى.
- يمكن أن نجد لها جدوى فى النبر.

٧- النبر والتنغيم

النبر معناه الضغط على الكلمة أو الحرف حين النطق فيعلو صوته ويتميز. والتنغيم معناه أداء الكلام بنغمة تناسبه إن كان استفهامًا أو نهيًا أو تحسُّرًا أو سرورًا أو غير ذلك.

- والبابان المذكوران لهما فى الدراسات الصوتية الحديثة شأن عظيم. ويُظنّ أنه ليس لهما أصل فى الدراسات العربية والقرآنية القديمة. ولكن هذا الظن خطأ، فإن لهذين البابين أصلاً عندنا. ولكننا ضيعناه أو نكاد.

أولاً: النبر:

أ- فى قوله تعالى (**فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**) (يوسف ٦٦).

- يتبادر إلى الذهن أن لفظ الجلالة فى الآية هو فاعل لفظ (قال) ولكن الحقيقة أنه مبتدأ، وأن جملة (الله على ما نقول وكيل) مبتدأ وخبر قالها سيدنا يعقوب يُشْهِدُ الله على المُوْثِق ويفوّض إليه سبحانه كفالة ذلك الموثق.
- وقد تعرض الإمام النسفى (ت ٧٠١هـ) لكيفية التخلص من ذلك المتبادر بقوله فالأَوْلَى أن يُقْصَدَ بقوة النَغْمة لفظُ (الله). اهـ[1]. ومعنى كلام النسفى أن القارئ ينبغى أن يرفع صوته بلفظ الجلالة فى جملة (الله على ما نقول وكيل) ليتبيّن أنه مبتدأ وليست فاعلاً للفظ (قال) ورفع الصوت هذا هو ما يسمى حديثًا (النبر) وهو هنا نبر كلمة (الله).

ونحن نأخذ من هذه القصة أمرين: أ-معنى النبر وهو رفع الصوت بالكلمة، ب- أن ذلك مشروع فى قراءة القرآن.

- ثم إننا نستثمر ذلك فى المواضع القرآنية التى يقتضى الأمر فيها التمييز بالنبر أى إننا لا نحفل بالنبر إلا بما له أثر فى معنى الكلام. وذلك يتمثل فى الكلمات القرآنية المركبة من حرف معنى أو أكثر دخل على فِعْل حُذِف منه حرف أو على نوع من الأسماء فصار المركب كأنه كلمة واحدة، والترتيل فى القراءة يقتضى نبر أو الفعل أوّل الاسم المدخول عليه. مثلاً:

(١) مدارك التنزيل للنسفى (المطبعة الحسينية) ٢/ ١٧٧.

- قوله تعالى: (**فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**) (الحجر ٢٩، ص ٧٢) يجب نبر القاف ليتبين أنها أول الفعل ويتبين أن (قَعُوا) فعلُ أمر من (وَقَع)، وليست الكلمة من الفقع .
- قوله تعالى (**فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ**) (القصص ٢٤) يجب نبر السين ليتبين أن المعنى هو من (السَقْى) وليس من الفِسق.
- وكذلك قوله تعالى (**وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ**) (المائدة ١٣) تنبر النون ليُعْلم أن المعنى من (النسيان) وليس (الونَس). (**فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ**) (المزمل ١٦). تنبر العين ليُعْلم أن المعنى هو من العصيان. وهكذا.
- فى قوله تعالى (**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ**) (يس ٥١) ينبغى نبر (هـم) فيُبْرَز الضمير دالاً على موقف المعبّر عنهم به وحالهم، وكذلك (**إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ**) (يس ٢٩)وكذا (**وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ**) (يس ٣٧).
- وعلينا أن نتذكر أن هذا النبر أ- خاص بالضمير (هُمْ) وحده ب-إذا وقع بعد (إذا) الفجائية. جـ- وأنه يكون حينئذ رأس جملة أى مبتدأ، فيستحق أن يميّز كذلك فى النطق ولا يكون نطق هم فى (إذا هـم) مثل نطقها فى قوله تعالى (**وَدَعْ أَذَاهُمْ**) (الأحزاب ٤٨).

- مشروعية النبر هنا تؤخذ من مصدرين أ- ما نبه عليه الأئمة فى قراءة عيسى بن عمر وحمزة قوله تعالى (**وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**) (المطففين ٣)، ب- وما نبه عليه الذين كتبوا فى المقطوع والموصول من دلالة فصل الضمير فى (**يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ**) (غافر ١٦) (**يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ**) (الذاريات ١٣) ووصل ذلك الضمير فى (**حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ**) (فى الزخرف ٨٣ والمعارج ٤٢، والطور ٤٥) وكذا فى (**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ**) (الذاريات ٦٠) حيث وجّه أبو عمرو الدانى فصل الضمير فى الآيتين الأوليين دون غيرهما بأن (هم) فيهما فى موضع رفع بالابتداء وما بعده خبره، فلذلك فُصل (يوم) منه. و(هم) فى ما عداهما فى موضع خفض بالإضافة، فلذلك وُصل اليوم به"[1].
- وأقول: إن ذلك النبر الذى ندعو إليه أولى وأهمّ وأنفع من تقليد إخواننا أهل الصعيد وغيرهم فى نبر الزاى من كلمة (رزقكم) ونحوها ومن الخلاف فى (يعدكم) و(يعظهم) و(أفلا..) فإن النبر الذى ندعو إليه يبرز المعنى فله فائدة، وأما (أفلا..) و(يعدكم) وما شاكل ذلك فلا يؤثر فى المعنى فلا جدوى له، ولا ينبغى أن نشغل قلب قارئ القرآن به.

---

(١) ينظر التلقى والأداء فى القراءات القرآنية د. محمد حسن جبل ص٢٦٥ والتوثيق هناك.

- وأنبه الدارسين إلى أننا ينبغى أن نكون من أنصار تيسير قراءة القرآن اتساقًا وامتثالاً لقوله تعالى (**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**) (القمر ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠). فلا نعقّد القواعد ولا نفهم الناس أن قراءة القرآن من الأمور العسرة[1].

ثانياً: التنغيم:

هذا موضوع كبير، ولكننا سنتناول منه نقاطًا محدودة.

١- معنى التنغيم أداء قراءة القرآن بنغمة تناسب معنى المقروء. فإذا كان المقروء دعاء- كما فى آيات آخر سورة البقرة، وآيات كثيرة غيرها — فإن القراءة ينبغى أن تكون مصحوبة بخشوع الدعاء ونبرة التضرع، وإذا كان المقروء يحتوى استفهامًا —كما فى آيات آخر سورة القيامة، وآيات أخرى كثيرة- فينبغى أن تكون القراءة مصحوبة بنغمة الاستفهام. وهكذا عندما يكون المحتوى معبراً عن الاستغاثة أو التحسر أو الفرح والبهجة إلخ.

٢- هناك آثار تؤيد هذه القراءة بالتنغيم:

أ- منها ما ورد عن التعليق على الآيات الاستفهامية فى سورة الرحمان وآخر سورتى القيامة والتين.

ب- وما ورد من مؤلّفات تزكى هذا النوع من التنغيم فى القراءة كمؤلَّف أبى عبد الله محمد بن عيسى الأصبهانى (ت ٢٥٣/ ٢٤٢) عن

---

(١) ينظر التلقى والأداء، د. جبل ص١٨٠.

جواز قراءة القرآن على طريقة المخاطبة. ومؤلَّف الإمام شمس الدين محمد بن محمد السمرقندى (ت نحو ٧٨١هـ) (العقد الفريد) فى ذلك، وتنويه الإمام الزركشى(ت ٩٨٤هـ): وكذلك الإمام السيوطى (ت ٩١١هـ) بما سماه الزركشى: قراءة القرآن على منازله[1].

٣- لكن من الحق والعلم أن يقال إن قراءة القرآن الكريم بالتنغيم تحتاج إلى تقعيد يحفظ للقرآن الكريم وقاره الذى هو ملمح من قدسيته، وبالله التوفيق.

---

(١) ينظر: التلقى والأداء أ. د. محمد حسن جبل ط ٢ ص٢٧٨ — ٢٨٣.

فهرس الموضوعات